



نشر البليدة . . .

أحمد عوده

في هذه المدينة . لقد سد السبل في وجه اية تهمة
توجه اليه .

يقول بفرح طفولي :

— لعلك يا سيدي اخطأت القصد ، فما انا الا رجل
مسالم .

القي نظرة معجبة على صدره المطرز بالاوسمة قائلا
بزهو وغضب :

— نحن لا نخطيء وانت لا تكثر من الكلام . . اليس
هذا ابنك ؟

أنشب أظافره في عنق الصبي فأطلق صيحة
نفذت في قلبه سكيناً مرهفة . ارخى جفنيه بمعنى نعم .
قال الشرطي وهو يدفع الصبي الى الداخل :

— كان يشتري خبزا يكفي لطابور خامس .

استعاد في ذاكرته نصوص البلاغات اليومية ان كان
فيها ما يناقض شراء الخبز ، ولما لم يجد قال موضحاً
بفرح :

— نحن اكثر من عشرة والخبز طعامنا الوحيد .

ربت الشرطي على وجهه بفلطة وصاح صيحة الظفر:
— ها انت قلتها بفمك . . عشرة وربما اكثر في

مكان واحد .

كلام الشرطي يسرق منه الوعي والمنطق . بات
لا يعي متى يكون على صواب او خطأ . يحاول ان يتذكر
ان كان هذا يتعارض والبلاغات . عينا الشرطي تنحران
حتى حقه الطبيعي في التذكر . تصلبانه على شجرة
منفردة وسط صحراء لا ماء فيها او هواء . تهول اليه
زوجه والاولاد . يقف الكل بلا حراك . تنقل الزوجة
عينها بين الشرطي وبينه . يشعر انها ايضا تسوق اليه
تهدمها مجهولة تلومه عليها . قال يقتل في عينها طائر
الشك :

— انا رجل مشهود لي بحسن السيرة والسلوك .
صفحتي عندكم انصع من تلوج القطب الشمالي .

توجه الى الباب تسبقه معدته . ضربات الجوع
اقوى من الطرق على الباب وأعنف . لا بد انه ابنه الذي
خرج منذ اكثر من ساعتين لشراء الخبز . سيرجى
عقابه الى حين يخرس هذه المعدة الكافرة وبعدها يفرك
اذنه حتى يقطر منها الدم . . . فرك يديه ارتياحا وسحب
المزاج . ترنح الباب ، اوشك ان يسقط بين يديه . هم
ان يصرخ بابنه « اين الخبز ؟ » رأى عنقه في قبضة
رجل غارق من رأسه وحتى قدميه ببذلة حالكة السواد .
لم يخطيء في معرفة ان من يقبض على ابنه بهذه الصورة
ويسد الفراغ شرطي من لحم ودم وان كان جامدا لا يظرف
له جفن .

— تفضل .

خرجت من فمه ورقة صفراء ذالبة ادركها الخريف .
ضغط الشرطي على عنق الصبي ضغطة تلوى لها وصاح .
قال وهو يلكر الاب بعضا سوداء تحت ابطه :

— أهذا الوغد ابوك ؟

يحاول الصبي ان يهز رأسه ايجابا . تمنعه اليد
الضاغطة عليه . يحس الاب بالاسابع تعتصر قلبه . يبسط
يديه ضارعا :

— ماذا فعل يا سيدي ؟

سدد اليه نظرة للممت ذنوب الارض وألقته على
رأسه . قال مزمجرا :

— بل انت الذي فعلت وفعلت وفعلت .

ضم يديه الى صدره بلا ارادة يتقي بهما شرا احس
انه لا محالة واقع به . بعثر ذاكرته عله يعثر فيها على
رائحة ما ساقته انف هذا الشرطي فلم يجد . ألفى ذاته
شخصا مسالما كل عالمه الطريق الفاصل ما بين المدرسة
والبيت . اما اللسان الذي يسوق عادة صاحبه السي
السجن او المقبرة فقد القى عليه القبض منذ زمن وأثقله
بالاصفاد حاكما عليه بالسجن المؤبد بين جدران فمه .
منذ امد طويل لم يخض في احاديث السياسة وانتشار
الجوع وتفشي الاوبئة وكذلك احتلال الجهل كل شبر

يتناول سيجارا من علبة مذهبة . يفرسه بين
اسنانه . الفى الفرصة مواتية كما يقوم بعمل نافع يمتص
به شيئاً من غضبة الضابط . نشط بالبحث عن ولاة
او كبريت على المكتب فلم يجد . ندم على تركه التدخين
والا لامكنه القيام بما ينفع في موقف حرج كهذا .
- ماذا تشتغل ؟

- مدرسا ... مدرسا التاريخ والجغرافيا في
مدرسة

رفع الضابط يده يخرسه .

- كفى .. اذن فانت تحسن القراءة ؟

تحير ان كان الجواب بنعم سيفيده ام لا هي التي
تفيد . تخيل ان هناك ابتسامة تنمو تحت جلد هذا الوجه
الجامد . اندفع بلا وعي يطري ولعه بالمطالعة . امره ان
يصمت .

- ثرثار .. هذا يثبت التزامك باصول المهنة .

ادرك بحدسه ان هذا الكلام يحمل معاني غامضة
قد تجلب له الضرر . قال بمرح لا يناسب الموقف :
- وشرفك في حدود سير العظماء والبحار والانهار
والتضاريس ووسائل ...

ضرب الارض بقدميه يسكته . اختل توازن
الكرسي من تحته . سقط السيجار من فمه . أمطره
سيلا من الشتائم . قال يعتصر الكلمات :
- اريد فقط معرفة ان كنت تقرا بلاغاتنا . فهي
فقط ما يستحق القراءة والسماع .

قال باندفاع وحرارة :

- أقرأها واسمعا واحفظها عن ظهر قلب .

- كذاب .

اخترقت أذنيه رصاصة محكمة التسديد .
تفتت ويذوب . يفقد احساسه الراهن بالاشياء . ما
عاد يهه شيء . فقط لو يعرف التهمة التي ألصقت به .

مط الضابط شففيه وقال وهو يتناول سيجارا
اخر ممعنا اليه النظر .

- كم ابنا لديك ؟

سره ان ينتقل الحديث الى نطاق الاسرة ، فهو لا
شك سيرحمه حين يعلم بالافواه التي تنتظر عودته لها
بالخبز .

- ثمانية .. اكبرهم دون العاشرة .

- وزوجك وانت .. كم يكون العدد ؟

-- عشرة .

- ها انت تعرف في الحساب كما تعرف التاريخ .

لم يكن في لهجته المسنونة بالسخرية ما يفريه أن
يتمادى بالتفاؤل . رآه يستريح في مقعده ناظرا الى
الدخان المتصاعد حلقات رعناء .

حرك الشرطي رأسه ضجرا :

- شمالي ، جنوبي ، لا يشبعني هذا الكلام .

امسك به من ياقته وجره الى الخارج جرا . استدار
الى زوجه وهو ذاهب يطمئنها :
- لم افعل شيئاً يا خديجة .. لا تقلقي .

لمح على وجهها لوما وتكديبا . اما عينها فكانتا
تقبضان على تلك النظرة الحائرة تتردد فيهما وهي تذكره
بمسير الاولاد ان هو حاول ان يرفع رأسه او يطلق سراح
لسانه . كلماتها اليومية ما تزال ترن في اذنيه .
- من يحاول الوقوف في وجه قطار سائر يتحول
الى سكة حديد .. حذار ؟

« متى يعود ليثبت لها أنه لم يخدعها وانه أكثر
حرصا منها على الاولاد حتى يكبروا ويفهموا الحياة ؟ .
انه بريء وما هي الا دقائق معدودة يعود ليظوي اولاده
تحت جناحيه ، يقبلهم ويقسم لهم انه ما حكم على نفسه
بالجمود والصمت الا من اجلهم » .

دفعه الشرطي دفعة ايقظته من احلامه . ظل يركض
بفعل الدفعة حتى توقف مرغما امام مكتب فخم مغطى
بزجاج لماع . ضرب الشرطي بقدميه الارض وصاح :
- ها هو المجرم يا سيدي .

انتزع وجهه المتعب عن سطح الزجاج . قابلته عينان
كانتا تتربضان به . تراجع الضابط حتى التصق بالجدار .
عيناه غيمتان محملتان جليدا في وجه صارم الملامح .
يشعر انه بات محاصرا داخل شبكة محكمة النسيج .
يلمح مقنعا الى جواره . يحاول ان يتهالك عليه . ينتهره
الشرطي بعنف . يدرك ان الامور لن تسير في صالحه
البتة . معدته الخاوية تسد تجويف البطن والحلق .
تهجم عليه رغبته ان يتقيأ امعاءه ويتبخر في سماء هذه
الحجرة شديدة الحرارة . يسمع الشرطي يقول بلهجة
تتوغل في أعصابه كالمشار :

- اتعبنى يا سيدي حتى اتيت به .

صوب الضابط الى الشرطي نظرة تقريع ذابت
استصغارا حين نقلها اليه . قال باستهانة :

- هذا الفأر يتعبك ؟

ثم زعق بالشرطي :

- اغرب عن وجهي .

تسلل من الباب قطا مبتور الذيل . عاد الضابط
يحكم من حوله الخيوط . يقول من زاوية فمه مع بداية
ضحكة تبدو بلا نهاية :

- اتعبته ! .. هه !

بسط يديه ضارعا .

- والله ...

- اخرس واترك الله جانبا .

– والعدد المسموح به للتجمع في بلاغتنا كم شخصاً ؟

« سيكون الامر في منتهى الغرابة والاذلال ان تعاقب على انجابك هذا العدد من الاولاد وقد ظننت ان سيحكم لك من أجلهم بالبراءة » .

صاح الضابط بصبر نافذ :

– كم شخصاً قلت لك ؟

همس بصوت مذبوح :

– خمسة .

افرج الضابط ضحكة ظل يختزنها امدا طويلا . اتسعت عيناه ذعرا ورهبة . « كان الامر في غاية البساطة حين اختزلوا عدد المدرسين الى ما دون الخمسة ، اما الاولاد فكيف لآب ان يحذفهم من ابوته لهم ؟ » . يبقى لديه أمل بحجم الصرصار ان الامور لن تصل الى هذا الحد وان التهمة ركبته لشيء جد بعيد عن الاسرة والاولاد . قال بحرارة :

– اقسم بالله العظيم انني

رفع الضابط يده محذرا :

– اوصيتك ان تترك الله جانبا .

بسط يديه وقال عازفا على وتر الدموع :

– انت يا سيدي تحرمني من الشاهد الوحيد هنا

على براءتي .

رماه بنظرة استصغار وقال من بين اسنانه :

– العدل هو الشاهد . انتم عشرة اشخاص في

مكان واحد . خمسة كما ترى زيادة عن العدد المسموح

به للتجمع .

اختلط عليه فما عاد يعرف ان كان عليه ان يضحك ام يبكي . يفقد ثائية احساسه الراهن بالاشياء . يتحول الى منطاد ثقب في الجو . يهوي من علو شاهق . الخوف ينتصب على رأسه مظلة تدفع عنه رياح الطمأنينة والثبات . تلتقي عيناه بعيني الضابط . يرى في كل منهما صنارة وهو معلق فيها كطعم . يتزاحم الكلام على لسانه . « ماذا عسالك تقول ؟ » يتوصل الى قناعة ان الصمت ابلغ في هذه المواقف من الكلام . « اما الضحك فطلقة الرحمة للمصابين مثلك بالرزايا والشرور » . يشرع بالضحك الهستيري . يمزج الضابط ويركبه السعار . يضغط على زر امامه . يصلصل جرس في الخارج . يندفع الشرطي الى داخل الحجرة . يضرب بقدميه الارض . يشير الضابط باصبعه كأنما يطرد ذبابة . تقبض على ذراعه يد من فولاذ . تجره خارجا . يعبر ممرا يتناقض نوره كلما اوغل فيه . يفقد الرؤية تماما . تتولى اذناه النقاط دبيب ارجل في الظلمة . يسمع صرير مفتاح وقفل وجارة باب يفتح . تدفعه يد من الخلف . يسقط فوق كتل من لحم وعظم . تتلقاه ضحكات ابعدها ما تكون

عن السرور . تعود عيناه الظلمة بالتدرج . يرى من حوله رهطا من الرجال . ينقل يده عليهم . يعدهم . الفاهم تسعة داخل زنزانية في حجم بيضة الافعى . يبحث بعينيه عن الشرطي ليخبره ان العدد اكثر بكثير مما تسمح به البلاغات . تصطمم عيناه بالباب الملق . ينسى كل شيء عنا انه وسط افواه تطلق ضحكات ابعده ما تكون عن السرور . يشارك الرجال الضحك فيما شرع يحل اصفاذ لسانه عقدة عقدة .

عمان (الاردن)

صدر حديثا :

زوربا

الرواية الشهيرة لـ :

نيكوس كازانتزافي

بعد غيابها طويلا عن السوق

ترجمة جورج طرابيشي

الشك

الرواية الشهيرة لـ :

كولن ولسن

التي كانت تنقص مجموعته

الروائية الكاملة

صدرت حديثا

في طبعة جديدة

عن دار الآداب